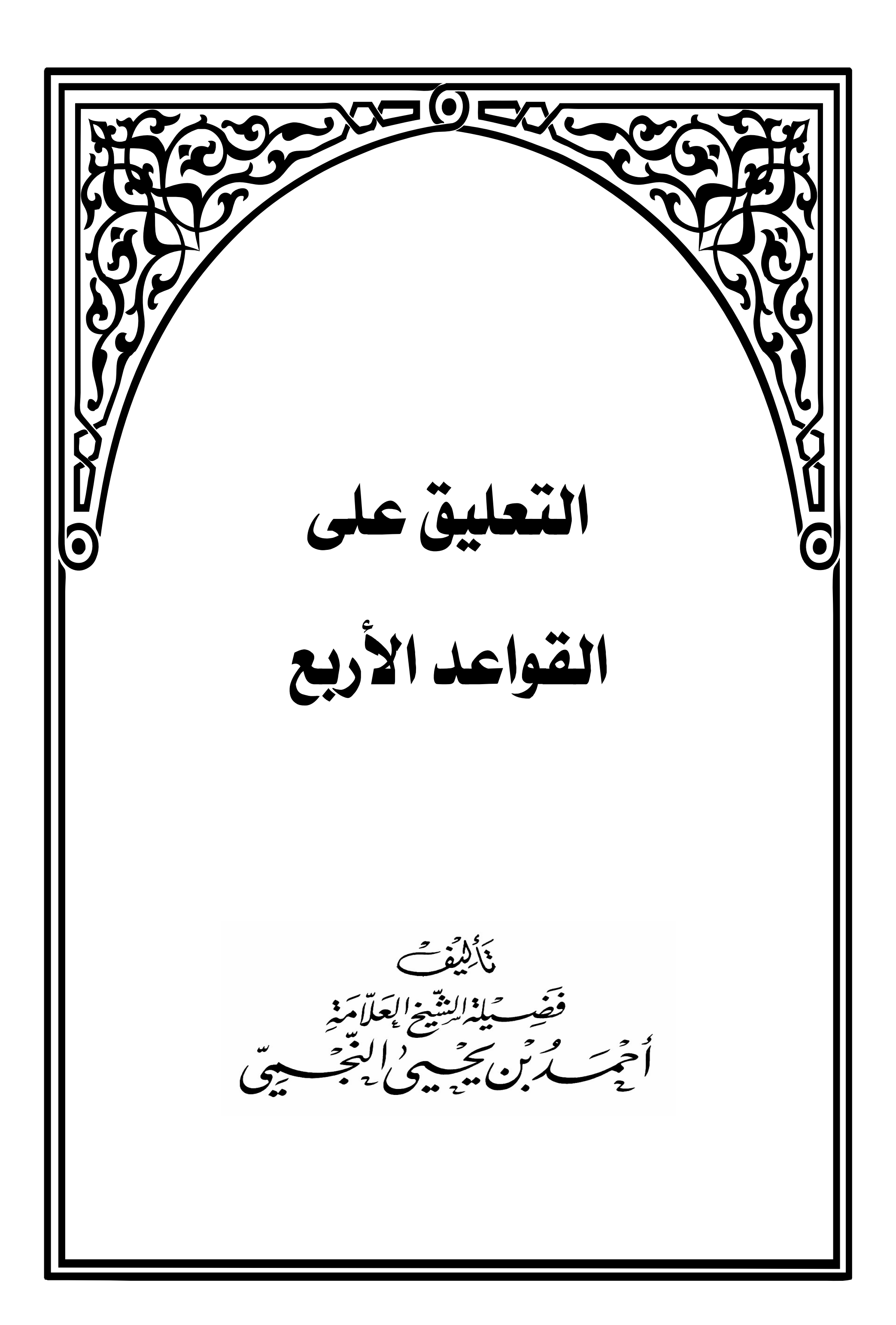


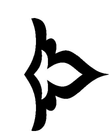
التعليق على القواعد الأربع

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

أحمد بن يحيى النجمي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



عنوان السعادة

❑ **قالَ شيخ الإسلام مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ:**

أَسْأَلُ اللهَ الكَرِيمَ، رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ أَنْ يَتَوَلَّاكَ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَينَمَا كُنْتَ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا أُعطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذنَبَ اسْتَغْفَرَ، فَإِنَّ هَؤلَاءِ الثَّلَاثَ عُنوَانُ السَّعَادَةِ.

التعليق

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام علىٰ نَبيِّنا مُحمَّدٍ، وعلىٰ آله وصحبه.

وبعد:

فقَدْ هيَّأ الله في القرن الثَّاني عشر الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ، فقام بدعوة

التَّوحيد في نجدٍ، وكتب الله لها النَّجاح بعد جهادٍ مريرٍ وطويلٍ، فألَّف المُؤلَّفات، وجاهد المشركين حتَّىٰ دخلوا في دين الله، وعادوا إلىٰ رحابِهِ؛ فوحَّدوه.

ومن ضمن مُؤلَّفاته وأعظمها نفعًا: «الثَّلاثة الأصول»، وكتاب «التوحيد»، و«كشف الشبهات»، و«القواعد الأربع»، والَّتي هي مقصود بحثنا الآن.

❁ **قَوله**: «**أَسْأَلُ اللهَ الكَرِيمَ، رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ أَنْ يَتَوَلَّاكَ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَينَمَا كُنْتَ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا أُعطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبرَ، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ، فَإِنَّ هَؤلَاءِ الثَّلَاثَ عُنوَانُ السَّعَادَةِ**»:

يا لها من دعوةٍ عظيمةٍ! فمَنْ تولَّاه الله في الدُّنيا والآخرة فَقَدْ فاز ونجا، وحاز الدَّرَجات العلا، وأكرمه الله بالجنَّة الَّتي مَنْ دخلها يحيا فلا يموت، ويَصِحُّ فلا يَسْقَمُ، ويشِبُّ فلا يَهْرَمُ.

إذا تولَّاك الله في الدُّنيا، يسَّر لك العلم الصَّحيح المأخوذ من الكتاب والسُّنَّة، ووفَّقك للعمل به، وإذا تولَّاك في الآخرة صرف عنك العذاب، ويسَّر لك أسباب السَّعَادة، فكان البرزخ في حقِّك نعيمًا، وفزت بالجنَّة بعد ذلك، وإذا جعلك مباركًا أينما كنت، فَقَدْ حصل لك ما يتمنَّاه الصَّالحون من الأعمال الصَّالحة الخالصة لله -جَلَّ وَعَلَا- الَّتي يَترتَّب عليها الخير في المواطن الثَّلاثة: في الدُّنيا، والبرزخ، والآخرة، وقَدْ دعا لك أيضًا، فقال: «وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابتُلِيَ صَبرَ، وَإِذَا أَذنَبَ اسْتَغْفَرَ، فَإِنَّ هَؤلَاءِ الثَّلَاثَ عُنوَانُ السَّعَادَةِ».

أي: عامتها، فالله يجزي الشَّاكرين بالزِّيادة، ويعطي الصَّابرين الأجر العظيم الَّذي لا يحصره حاصرٌ، ولا يعدُّه عادٌّ، كما في الحديث الصَّحيح أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال فيما يرويه عن ربِّه: «**كلُّ عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة بعشر أمثالها إلىٰ سبع مئة ضعفٍ إلىٰ ما شاء الله، قال الله عَزَّوَجَلَّ: إلَّا الصَّوم، فإنَّه لي وأنا أجزي به، يَدَعُ شهوته وطعامه من أجلي**»(١).

۞ **قَولُه**: «**وإذا أذنب استغفر**» أي: إذا وقع في الذَّنْب بسبب بَشَريَّته الَّتي يَتعرَّض بها إلىٰ ما يَتعرَّض له البشر، فيقع في المعاصي من حيث يشعر أو لا يشعر، ولكن الله تعالىٰ وَعَدَ، ووعدُهُ الحقُّ، أن يغفر لمَنِ استغفر، وأن يتوب علىٰ مَنْ تاب.

وفي الحديث القدسي: «**قال الله تعالىٰ: يا عبادي، إنِّي حَرَّمتُ الظُّلْم علىٰ نفسي، وجعلتُهُ بينكم مُحرَّمًا فلا تظالموا...، يا عبادي، إنَّكم تخطؤون باللَّيل والنَّهار، وأنا أغفر الذُّنُوب جميعًا، فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي...**»(٢).

وقَدْ أخبر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نهاية هذا الدُّعاء بأنَّ هذه الثَّلاث الخصال هي عنوان السَّعَادة، ثمَّ دخل في المقصود بقوله: اعلم أرشدك الله لطاعته...» إلخ.

۞۞۞

---

(١) أخرجه مسلم (١١٥١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

معنى الحنيفية

□ **اعْلَمْ -أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ: أَنَّ الحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبرَاهِيمَ: أَنْ تَعبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُمْ لَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

***

التعليق

فهذه هي العبادة الَّتي تُسمَّىٰ عبادةً، والَّتي يَحُوز صاحبها الأجر الوفير والخير الكثير، أمَّا مَنْ خلط فعبد اللهَ، وعبدَ غيرَه فإنَّ عبادته لا تكون عبادةً لله، وفي الحديث الَّذي يرويه النَّبيُّ ﷺ عن ربِّه: «**قال الله تعالىٰ: أنا أغنىٰ الشُّركاء عن الشِّرْك، مَنْ عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركتُهُ وشركَه**»(١).

ثمَّ استدلَّ علىٰ ذلك بقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي هذه الآية ما يفيد بأنَّ خَلْق الجنِّ والإنس ما كان لشيءٍ سوىٰ العبادة، فالله خَلَق العباد ليعبدوه، ووعدهم بالمغفرة والجنَّة إذا عبدوه؛ كما في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال له: «**يا معاذ، أتدري ما حقُّ الله علىٰ العباد، وما حقُّ العباد علىٰ الله؟**» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإنَّ حقَّ الله علىٰ العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحقَّ العباد علىٰ الله ألَّا يُعذِّب مَنْ لا يشرك به شيئًا**»، فقلت: يا رسول الله، أفلا أُبشِّر به النَّاس؟ قال: «**لا تُبشِّرهم فيتَّكلوا**»(١).

وفي هذه الآية(٢) دلالةٌ علىٰ أنَّ المقصود بخَلْق الجنِّ والإنس هو أن يَبْتليهم الله بالأوامر والنَّواهي، ويَبْتليهم بأمورٍ أخرىٰ تعتبر صوارف عن طاعة الله سبحانه وتعالى، فمَنْ تأثَّر بالصَّوارف، وترك العبادة كان من الخاسرين، ومَنِ اشْتَغل بالعبادة، وأخذ من الدُّنيا ما يستعين به علىٰ مطلوبِهِ، كان من النَّاجين.

وبالله التَّوفيق.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠).

(٢) أي: قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

لا عبادة إلا مع التوحيد

□ **فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ، فَاعْلَمْ أَنَّ العِبَادَةَ لَا تُسَمَّىٰ عِبَادَةً إِلَّا مَعَ التَّوحِيدِ، كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ لَا تُسَمَّىٰ صَلَاةً إِلَّا مَعَ الطَّهَارَةِ.**

فَإِذَا دَخَلَ الشِّركُ فِي العِبَادَةِ فَسَدَتْ؛ كَالحَدَثِ إِذَا دَخَلَ فِي الطَّهَارَةِ.

التعليق

لقَدْ مَثَّل الشَّيخ رَحِمَهُ اللهُ بمثالٍ حِسِّيٍّ يعرف به المثال المعنويُّ؛ فالشِّرْك يبطل العبادة، كما أنَّ الحَدَث يفسد الطَّهَارة، فمَنْ أدخل في عبادته شِرْكًا، فقَدْ أفسدها، ولم تَعُدْ صالحةً للاستفادة منها، كما أنَّ الحَدَث إذا دخل في الطَّهارة؛ سواء كان العبد قائمًا في صلاته أو خارجًا عنها، فإنَّ طهارته قَدْ بطلت، ولا يمكنه أن يستمرَّ في صلاته إنْ كان يُصلِّي، أو يدخل فيها إنْ كان لا يُصلِّي، وإنْ فعل فإنَّه يُعتَبر مجنونًا، فاسدَ العقل، إذا ظنَّ أنَّ العبادة تستقيم له مع وجود الشِّرْك الأكبر، وكم في آيات القرآن ما يدلُّ علىٰ ذلك، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [النساء:٤٨].

وقال الله علىٰ لسان عيسىٰ ابن مريم: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة:٧٢].

وقال الله لنبيِّه مُحمَّدٍ ﷺ: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥].

ولمَّا ذكر الله الأنبياء في سورة الأنعام قال جَلَّ من قائل: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨].



أهمية معرفة خطورة الشرك

❏ فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّرْكَ إِذَا خَالَطَ العِبَادَةَ أَفْسَدَهَا، وَأَحْبَطَ العَمَلَ، وَصَارَ صَاحِبُهُ مِنَ الخَالِدِينَ فِي النَّارِ؛ عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ: هُوَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِن هَذِهِ الشَّبَكَةِ وَهِي الشِّركُ بِاللهِ الَّذِي قَالَ اللهُ فِيهِ:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [النساء:١١٦].

وَذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ:

القَاعِدَةُ الأُولَى

□ أَن تَعْلَمَ أَنَّ الكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُقِرُّونَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ هُوَ الخَالِقُ المُدَبِّرُ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَم يُدْخِلْهُمْ فِي الإِسْلَامِ.

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس:٣١].

التعليق

مقتضىٰ هذه القاعدة أنَّ توحيد الرُّبُوبيَّة لا يدخل به أحدٌ في الإسلام، فمَنْ أقرَّ بتوحيد الرُّبوبيَّة، أقرَّ بأنَّ الله هو الخالق، وهو الرَّازق، وهو المُدبِّر، وهو المحيي والمميت الذي يُصِحُّ ويُمرض، والَّذي يُغني ويُفقر، والَّذي يُسعد ويُشْقي، مَنْ أقرَّ بهذا لا يدخله إقرارُهُ به في الإسلام؛ لأنَّ المشركين الَّذين قاتلهم رسول الله -صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم- واستباح

دماءهم، وغنم أموالهم، وسبىٰ نساءهم وأطفالهم، كلُّهم كانوا يعتقدون أنَّ الله هو الخالق الرَّازق المُدبِّر لجميع الأمور، فلم ينفعهم ذلك شيئًا؛ لأنَّهم عبدوا مع الله غيره، وكفروا برسالة مُحمَّدٍ ﷺ، وأنكروا البعث وكفروا بالقرآن، وأنكروه، وزعموا أنَّه سحرٌ أو كهانةٌ.

فمَنْ آمن بواحدةٍ من هذه الأربع وكَفَرَ بثلاثٍ، أو آمن بثلاثٍ وكَفَرَ بواحدةٍ؛ فإنَّه يعتبر كافرًا، حلال الدَّم والمال بعد أن تُقَام عليه الحُجَّة.

فمَنِ اعْتَقَد رُبُوبيَّة الله علىٰ كلِّ شيءٍ، واعتقد رسالة مُحمَّدٍ ﷺ، واعتقد البعث بعد الموت، ولكنَّه استباح اتِّخاذ وسائط مع الله عَزَّوَجَلَّ يدعوهم من دون الله، ويزعم أنَّهم شفعاء إلىٰ الله، فإنَّه في هذه الحالة لا تُقبَل منه صلاةٌ، ولا صومٌ، ولا زكاةٌ، ولا حجٌّ، ولا يَقْبَلُ الله منه أيَّ عمل صالح؛ لقوله جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥].

وبالله التَّوفيق.

القَاعِدَةُ الثانِيَةُ

□ أَنَّهُم يَقُولُون: مَا دَعَوْنَاهُم وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِمْ إِلَّا لِطَلَبِ القُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ.

فَدَلِيلُ القُرْبَةِ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ [الزمر:٣].

وَدَلِيلُ الشَّفَاعَةِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس:١٨].

وَالشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ: شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ، وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ:

فَالشَّفَاعَةُ المَنفِيَّةُ: مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِن غَيْرِ اللهِ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ.

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة:٢٥٤].

وَالشَّفَاعَةُ المُثْبَتَةُ: هِيَ الَّتِي تُطْلَبُ مِنَ اللهِ، وَالشَّافِعُ مُكْرَمٌ بِالشَّفَاعَةِ، وَالمَشْفُوعُ لَهُ: مَنْ رَضِيَ اللهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ بَعْدَ الإِذْنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة:٢٥٥].

التعليق

مقتضىٰ هذه القاعدة أنَّ الَّذين عبدوا غير الله لم يعبدوهم علىٰ أنَّهم هم الَّذين خلقوا هذا الكون، وهم الَّذين رزقوا مَنْ فيه، وهم الَّذين أَحْيَوا الأحياء وأماتوا الموتىٰ، ولا أنَّهم هم الَّذين ينزلون الغيث من السَّماء، أو أنَّهم هم الَّذين ينبتون النَّبات من الأرض، كلُّ ذلك ما كانوا يعتقدون أنَّهم يَتصرَّفون فيه، ولكن كان قولهم وحُجَّتهم أنَّهم عبدوهم من أجل أن يشفعوا لهم عند الله حيث قالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣].

وحيث قالوا: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨].

فما كان أحدٌ منهم يعتقد أنَّ تلك الآلهة تخلق أو ترزق أو تُحْيِي أو تُمِيت، كلُّ ذلك لم يكن، وإذا كان الأمر كذلك فيجب أن نَتيقَّن أنَّ هؤلاء القوم الَّذين كانوا يعتقدون هذا الاعتقاد، قاتلهم رسول الله ﷺ، واستباح دماءهم، وغَنِمَ أموالهم، وسبىٰ نساءهم وأطفالهم.

إذا علمنا ذلك علمنا أَنَّ مَنْ كان في هذا الزَّمان يعبد غير الله، ويزعم أنَّ فيه الولاية الَّتي تجعله مُقرَّبًا إلىٰ الله أكثر من غيره، وأنَّ الله لا يردُّ له شفاعةً، ولا يرفض له طلبًا، مَنِ اعتقد ذلك فإنَّه يُعتَبر مشركًا شركًا أكبر مُخْرجًا من المِلَّة.

❑ **علمًا بأنَّ الشَّفاعة تنقسم إلى قسمين:**

١- شفاعة مَنفيَّة. ٢- شفاعة مُثْبَتَة.

❁ **فالشَّفاعة المَنفيَّة:** هي الَّتي تُطلَبُ من غير الله عَزَّوَجَلَّ استقلالًا.

❁ **والشَّفاعة المُثبتَة:** هي الَّتي تُطلَبُ من الله، وشروطها اثنان:

١- أن تطلب من الله عَزَّوَجَلَّ دون سواه، قال الله تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥].

٢- أن يكون المشفوع فيه مِمَّنْ أَذِنَ الله له في الشَّفاعة فيه بأَنْ يكون مُوحِّدًا، قال ﷺ لمَّا سأله أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ أسعد النَّاس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «**لقَدْ ظننتُ يا أبا هريرة ألَّا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أوَّل منك لما رأيت مِنْ حِرْصك علىٰ الحديث؛ أسعد النَّاس بشفاعتي يوم القيامة مَنْ قال: لا إله إلَّا الله خالصًا من قلبه -أو: نفسه-**»(١).

وقَدْ جاء في النُّصُوص الشَّرعيَّة أنَّ الله يُعطي الشُّفعاءَ الشَّفاعة، فيُشفِّعهم في أقوامٍ قَدْ صاروا حُمَمًا، فيخرجونهم من النَّار، ثمَّ يدخلونهم الجنَّة، ويضعونهم علىٰ نهر الحياة، فينبتون فيه كما تنبت الحِبَّة في حَمِيل السَّيْل(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩).

(٢) يشير رَحِمَهُ اللَّهُ إلىٰ ما أخرجه البخاري (٦٥٦٠)، ومسلم (١٨٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**إذا دخلَ أهلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وأهلُ النَّارِ النَّارَ، يقول الله: من كان في قلبه مثقال حَبَّة من خردل من إيمان فأخرجوه، فيخرجون قد امتُحِشُوا وعادوا حُمَمًا، فيُلقون في نهر الحياة، فيَنبتون كما تنبتُ الحِبَّة في حَمِيل السَّيْلِ**». «**امتحشوا**»: احترقوا. «**حُممًا**»: فحمًا. «**الحبة**»: بذور البقول والعشب تَنبت في البراري وجوانب السيول. «**حميل السيل**»: غُثاؤه، وهو ما جاء به من طين وغيره؛ فإذا كان فيه حبة واستقرت علىٰ شط الوادي تنبت بسرعة.

فلا ينبغي، ولا يجوز أن تطلب الشَّفَاعة من غير الله، بل الَّذي ينبغي أن تُطْلب الشَّفاعة من الله، والله تعالىٰ يقول: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾.

وجاء في النُّصُوص: أنَّ الله يخرج أقوامًا بعد شفاعة الشَّافعين من النَّار، لم يفعلوا خيرًا، يخرجهم بحثياتٍ ثلاثٍ(١).

ومن أجل ذلك فينبغي أن تُطلب الشَّفَاعة من الله وحده.

وبالله التَّوْفيق.

---

(١) كما في الحديث الذي سبق، وكما في الحديث الذي أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٩٤) (١١٩١٧) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بلفظ: «... **ثم يقول الله: شفعت الملائكة، وشفع الأنبياء، وشفع المؤمنون، وبقي أرحم الراحمين،** قال: **فيقبض قبضةً من النار** -أو قال: قبضتين- **ناس لم يعملوا لله خيرًا قط، قد احترقوا حتىٰ صاروا حُمَمًا. قال: فيؤتىٰ بهم إلىٰ ماءٍ يقال له: ماء الحياة، فيُصب عليهم، فينبتون كما تنبت الحِبَّة في حَمِيل السيل...**». الحديث. وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «الصحيحة» (٢٢٥٠).

وأما لفظ: «**ثلاث حثيات**»، فقد ورد في أقوامٍ لم يدخلوا النار أصلًا، كما في الحديث الذي أخرجه الترمذي (٢٤٣٧) وابن ماجة (٤٢٨٦)، من حديث أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**وعدني ربي أن يُدخل الجنة من أُمَّتي سبعين ألفًا بلا حسابٍ عليهم، ولا عذابٍ، مع كل ألف سبعون ألفًا، وثلاث حَثَيات من حثياته**»، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح ابن ماجة» (٤٢٨٦).

القَاعِدَةُ الثالِثةُ

□ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ ظَهَرَ عَلَىٰ أُنَاسٍ مُتَفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِمْ: مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ المَلَائِكَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَحْجَارَ وَالأَشْجَارَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ، وَقَاتَلَهُم رَسُولُ الله ﷺ وَلَم يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ.

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال:٣٩].

وَدَلِيلُ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت:٣٧].

وَدَلِيلُ المَلَائِكَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ﴾ [آل عمران:٨٠].

وَدَلِيلُ الأَنبِيَاءِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا

لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [المائدة:١١٦].

وَدَلِيلُ الصَّالِحِينَ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء:٥٧].

وَدَلِيلُ الأَحْجَارِ وَالأَشْجَارِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ [النجم:١٩، ٢٠].

وَحَدِيثُ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ ﷺ قَالَ: «خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَىٰ حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِيْنَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ(١)، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ(٢)، كَمَا لَهُم ذَاتُ أَنْوَاطٍ...». الحَدِيثُ(٣).

❊ ❊ ❊

(١) **أنواط**: جمع نَوْطٍ: وهو مصدرٌ سُمِّي به المنوطُ، سمِّيت بذلك لكثرة ما يُناط بها (أي: يُعلق) من السلاح لأجل التبرك.

(٢) أي: اجعل لنا شجرة نتبرك بها، كما للمشركين شجرة يتبركون بها، ويُعلقون عليها أسلحتهم.

(٣) أخرجه الترمذي (٢١٨٠)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «المشكاة» (٥٤٠٨).

التعليق

إنَّ مقتضىٰ هذه القاعدة أنَّ كلَّ ما دُعِيَ من دون الله من ملائكةٍ، وأنبياءَ، وصالحين، وأشجارٍ، وأحجارٍ، وغير ذلك كلُّها عاجزةٌ عن أن تُسْعِفَ عابديها بالمطلوب، أو تنجيهم من المهروب، والله ﷻ قَدْ أخبر أنَّ كلَّ مدعوٍّ من دونه لا يملك شيئًا وإنْ قلَّ، حيث يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ﴾ [فاطر:١٣، ١٤].

وقال جل من قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ﴾ [الحج:٧٣].

إلىٰ غير ذلك من الآيات الَّتي تُبيِّن عجز المدعوِّين من دون الله ﷻ، وضعفهم، وعدم قدرتهم علىٰ إعطاء مَنْ عبدهم شيئًا وإنْ قلَّ، ثمَّ إنَّهم أيضًا عاجزون عن جَلْب النَّفْع لأنفسهم، فكيف بغيرهم؟!

إذًا؛ فليس هناك ميزةٌ لأحدٍ دون أحدٍ في هذا الباب.

وبهذا يعلم أنَّ مَنْ عَبَدَ الملائكة، أو عبد الأنبياء كـ: (عيسىٰ، وعُزير)، هو وَمَنْ عَبَد الأحجار والأشجار سواء، كلُّهم مشركون بالله، والمعبودات من دون الله كلُّها عاجزةٌ أن تنفع عابديها بشيءٍ وإنْ قلَّ، وبالله التَّوْفيق.

القَاعِدَةُ الرَّابِعَةُ

□ أَنَّ مُشْرِكِي زَمَانِنَا أَغْلَظُ شِرْكًا مِنَ الأَوَّلِينَ؛ لأَنَّ الأَوَّلِينَ يُشْرِكُونَ فِي الرَّخَاءِ، وَيُخْلِصُونَ فِي الشِّدَّةِ، وَمُشْرِكُو زَمَانِنَا شِرْكُهُمْ دَائِمًا فِي الرَّخَاءِ وَالشِّدَّةِ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٥].

التعليق

إنَّ مشركي هذا الزَّمان زادوا علىٰ مشركي زمن النَّبيِّ ﷺ كثيرًا بحيث إنَّ الَّذين كانوا في زمن النَّبيِّ ﷺ كانوا يشركون في الرَّخاء، ويخلصون في الشِّدَّة، ويعتقدون أنَّ الشِّدَّة لا ينفع فيها إلَّا الله، لم يبلغ بهم شِرْكهم إلىٰ أنَّ أولئك المَدْعوِّين يخلقون أو يرزقون أو يحيون ميتًا، وإذا نظرت فيما هو مُدوَّنٌ في هذا الزَّمن من قِبل المشركين فإنَّك ترىٰ العجائب.

ولَقَدْ قرأت في كتابٍ يُسمَّىٰ «نفس الرحمن» أُتِيَ به من اليمن، قال فيه صاحبُهُ: «إنَّ رجلًا ضافه عبد القادر الجيلاني، وكان عبد القادر غائبًا، فأتىٰ مَلَك الموتِ، فقبض رُوحَ الضَّيف.

فقالت زوجة عبد القادر: لقَدْ أسأتَ إلىٰ عبد القادر حيث قبضتَ رُوحَ ضيفه وهو في بيته، وكان مَلَك الموت قَدْ جمع أرواحًا، فجعلها في زنبيلٍ، ثمَّ عرج بها إلىٰ الله ﷻ.

فلمَّا رجع عبد القادر، أخبرته زوجتُهُ بالحادث، فذهب ولحق مَلَك الموت وهو يحمل الأرواح في ذلك الزنبيل، ثمَّ إنَّه ضرب زنبيل مَلَك الموت، فسقط من يد ملك الموت، فطارت الأرواح إلىٰ أجسادها، وعادوا كلُّهم أحياء».

هذا الكلام قرأته في كتابٍ مطبوعٍ قبل حوالي أربعين سنةً، وما زلتُ أذكر اسمه «نفس الرحمن» فانظر إلىٰ هذه الرُّعونة! وماذا بلغ إليه حال الخُرافيِّين القُبُوريِّين الَّذين يُعظِّمون أُنَاسًا حتىٰ يجعلوهم آلهةً، ويدَّعون ذلك بأخبارٍ مكذوبةٍ كهذا الخبر.

وأذكر أنَّه جاء إلينا وجلس عندنا رجلان من الصُّومال، أحدهما اسمه عليٌّ ابن الشَّيخ عثمان زياد، وهذا درسنا عليه في اللُّغة، والآخر اسمه عبد الصَّمد، وكَمَّل دراسته في الجامعة الإسلاميَّة فيما أذكر، قالا: قرأنا علىٰ رجلٍ في الحبشة في كتاب «الزُّبد» لابن رسلان، فلمَّا بلغنا إلىٰ قوله:

والأَوْلِيَا ذَوو كراماتٍ رُتَب ... وما انتهوا الولدِ من غير أب

فقال ذلك الرَّجل: بلىٰ قد انتهوا، فقالا له: كيف ذلك؟ قال: إنَّ فلانًا الشَّيخ الصُّوفيَّ كان معروفًا بالصَّلاح، وكان عقيمًا، فَسَخِر منه رجلٌ يعرفه.

فقال: إنَّ فلانًا حصل له ولدٌ فسمَّاه باسمي، وجمع أصحابه وذهب بهم

إلىٰ ذلك الشَّيْخ، فلمَّا جاؤوا إلىٰ الشَّيخ وجدوا أنَّ للشَّيخ ولدًا، فنظروا إليه، وعادوا مقتنعين بأنَّ للشَّيخ ولدًا، وبعد أن ذهبوا ذهب بالولد.

فانظر أيضًا ما في هذه الرُّعُونة، وأنَّ فلانًا حصل له ولدٌ، وهو لم يكن له ولدٌ، إلىٰ غير ذلك من الأخبار الباطلة، والحكايات الَّتي يُوهمون فيها النَّاس بصدق ما يَدَّعون من القدرة لأوليائهم علىٰ ما لا يَقدر عليه إلَّا الله، فنعوذ بالله من الضَّلال.

وبهذا تعرف مدىٰ ما بلغ إليه الخُرافيُّون القُبُوريُّون في هذا الزَّمن من المبالغة في الشِّرك الَّذي زادوا به علىٰ شرك أبي جهلٍ وأبي لهبٍ، وأمثالهم من مشركي العرب الَّذين قاتلهم رسول الله ﷺ، فاستباح دماءهم، وغنم أموالهم، وسبىٰ نساءهم وأولادهم.

ومع ذلك فإنَّ كثيرًا من النَّاس، بل مِمَّن يدعون العلم لم يخرجوهم من الإسلام، ولم يحكموا عليهم بالكفر مع أنَّ الله ﷻ يقول لنبيِّه ﷺ:

﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥].

فالشِّرك الأكبر يهدم الإسلام ويبطله كما يبطل الحَدَث طهارةَ المُتطهِّر.

وبالله التَّوفيق.

وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمَّدٍ، وعلى آله وصحبه.

والحمد لله ربِّ العالمين.

❀❀❀